

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ؟

الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ، قَضَى وَقَدَّرَ لِعِبَادِهِ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْقَائِلُ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، آمَنَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ فَاجْتَهَدَ وَلَمْ يَكْسَلْ، وَعَلَى رَبِّهِ تَوَكَّلَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرَرِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْجَزَاءِ عَلَى الْعَمَلِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَإِنَّهَا الزَّادُ الْمُبْلَغُ إِلَى رِضْوَانِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَتَكَزَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَقَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَضَعَ قَوَانِينَ وَنَوَامِيسَ فِي هَذَا الْوُجُودِ، وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَجْرِي وَتَدُورُ بِحَسَبِ هَذِهِ الْقَوَانِينِ وَالسُّنَنِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٣)، إِنَّهُ نِظَامٌ مُحْكَمٌ وَضَعَهُ اللَّهُ لِهَذَا الْوُجُودِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ، مَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ، لِأَنَّهُ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، أَلَا وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَحِينَ سَأَلَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، أَجَابَهُ قَائِلًا: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلُوهُ وَمُرُّهُ))، إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ لَهُ فَوَائِدٌ عَظِيمَةٌ لِلْإِنْسَانِ، فَهُوَ يُحَرِّكُ قُوَاهُ وَطَاقَاتِهِ لِلتَّعَرُّفِ عَلَى سُنَنِ اللَّهِ وَقَوَانِينِهِ فِي هَذَا الْكَوْنِ، إِنَّهُ قُوَّةٌ بَاعِثَةٌ عَلَى النَّشَاطِ وَالْعَمَلِ، وَالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنَ الْحَيَاةِ، فِي الْبِنَاءِ وَالتَّعْمِيرِ وَالتَّشْيِيدِ الْحَضَارَاتِ، وَإِقَامَةِ النَّهْضَاتِ، وَفِي الْإِنْتِفَاعِ بِمَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ خَيْرَاتٍ وَنِعَمٍ كَثِيرَةٍ.

(١) سورة القمر / ٤٩ .

(٢) سورة البقرة / ١٩٧ .

(٣) سورة الرعد / ٨ .

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدْرِ يَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِاللَّهِ خَالِقِ هَذَا الْكَوْنِ، فَيُصْبِحُ شَجَاعًا قَوِيًّا، مُتَزِنًا سَوِيًّا، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ تَمَامَ الْعِلْمِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ إِنَّمَا يَسِيرُ وَفَقَ حِكْمَةً عَلِيًّا، فَلَا يَجْزَعُ إِذَا مَسَّهُ الضَّرُّ، وَلَا يَفْرَحُ فَرَحَ بَطْرِ وَغُرُورٍ إِذَا رَزِقَ بِنِعْمَةٍ مِنَ النِّعَمِ، وَلَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ، لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(١)، إِنَّ بَعْضَ النُّفُوسِ غَفَلَتْ عَنِ هَذَا فَتَرَاهَا لِلْأَسَفِ تَعِيشُ خَوْفًا مُزْمِنًا وَهَلَعًا دَائِمًا، مَاذَا لَوْ أَصَابَهُ كَذَا؟ وَكَيْفَ تَكُونُ حَالُهُ لَوْ تَعَرَّضَ لِكَذَا؟ فَتَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ تَصَوُّرَاتٌ وَأَوْهَامٌ مُخِيفَةٌ تُعَدِّدُ صُورَ الْخَوْفِ عِنْدَهُمْ، خَوْفٌ مِنَ الْمَرَضِ، وَخَوْفٌ عَلَى الرَّزْقِ، وَهُنَاكَ الْخَوْفُ عَلَى الْمَنْصِيبِ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْخَوْفُ عَلَى الْأَوْلَادِ، وَالْخَوْفُ مِنَ الْأَشْخَاصِ وَالْبَشَرِ، فَيَعِيشُ الْإِنْسَانُ تَحْتَ ضَغْطِ الْوَسَاوِسِ وَالْهَوَاجِسِ، وَيَغْشَاهُ الْجُمُودُ وَالْكَسَلُ، وَإِذَا وَقَعَ بَعْضُ مَا يَخْشَى؛ يَظَلُّ شَهُورًا وَأَعْوَامًا يَجْتَرُّ الْأَلَامَ وَيَسْتَعِيدُ الذِّكْرِيَّاتِ، مُتَحَسِّرًا تَارَةً وَمَتَمَنِّيًّا أُخْرَى؛ فَأَيُّنَ الْإِيمَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ عِنْدَ هَوْلَاءِ؟ أَيُّنَ التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ؟ لِمَ الْخَوْفُ وَاللَّهُ يَصِفُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾^(٢)، فَكُنْ - يَا أَخِي - مُطْمَئِنًّا بِاللَّهِ وَانْقَا بِهِ، وَلَا تَشْغَلْ نَفْسَكَ بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ، بَلْ اعْمَلْ عَلَى إِصْلَاحِ نَفْسِكَ وَتَقْوِيمِهَا، وَسِرِّ حَيْثُ أَرَدْتَ فِي طَرِيقِ الْخَيْرِ، وَأَقْرَأْ كِتَابَ رَبِّكَ تَجِدْ مَا يُكْسِبُكَ بَرْدَ الْيَقِينِ، فَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَحْزَنَ أَوْ تَشْقَى، بَلْ لِتَسْعَدَ وَتَرْقَى.

أَخِي الْمُسْلِمِ:

(١) سورة الحديد/٢٢-٢٣ .

(٢) سورة الشورى / ١٩ .

إِنَّ الْقَدَرَ إِنَّمَا يُدْفَعُ بِالْقَدْرِ، فَقَدَرُ الْجُوعِ يُدْفَعُ بِقَدْرِ الْأَكْلِ، وَقَدَرُ الْمَرَضِ يُدْفَعُ بِقَدْرِ الْعِلَاجِ، وَقَدَرُ الْكَسَلِ يُدْفَعُ بِقَدْرِ النَّشَاطِ وَالْعَمَلِ، وَهَا هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، حِينَمَا فَرَّ مِنَ الطَّاعُونَ: (أَنْتَرْتُ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَفَرُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ؟)، أَيُ يَفِرُّ مِنْ قَدْرِ الْمَرَضِ وَالْوَبَاءِ إِلَى قَدْرِ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، هَذَا هُوَ الْفَهْمُ الصَّحِيحُ لِمَفْهُومِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَ الْإِنْسَانُ الْقَدَرَ سَبِيلًا إِلَى التَّوَكُّلِ، وَلَا ذَرِيعةً إِلَى الْمَعَاصِي، وَلَا طَرِيقًا إِلَى الْخَوْفِ، هَذَا وَإِنَّ مِنَ الْقَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُهَمَّةِ فِي الْإِيمَانِ وَالرِّضَا، عَدَمَ امْتِحَانِ اللَّهِ فِي نَوَامِيسِهِ وَفِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ أَنْ يُوصِيَهُ وَصِيَّةً جَامِعَةً فَقَالَ: ((لَا تَتَّهَمِ اللَّهَ فِي قَضَائِهِ))، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: ((إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَضَى قَضَاءً أَحَبَّ أَنْ يُرَضَى بِهِ))، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ انشِرَاحُ الصَّدْرِ بِهِ، وَكَفُّ الْجَوَارِحِ عَنِ إِظْهَارِ الْجَزَعِ، وَتِلْكَ صِفَةُ الْمُتَّقِينَ، وَعِبَادِ الرَّحْمَنِ الصَّالِحِينَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاتَّخِذُوا مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقَدْرِ وَسَبِيلَةً إِلَى تَحْقِيقِ الْغَايَاتِ الْكُبْرَى مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْمَقَاصِدِ الْعُظْمَى مِنَ الْأَمَالِ وَالْأَهْدَافِ، قَاوِمُوا الْفَقْرَ بِالْعَمَلِ، وَقَاوِمُوا الْجَهْلَ بِالْعِلْمِ، وَقَاوِمُوا الْمَرَضَ بِالْعِلَاجِ، وَقَاوِمُوا الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبَ بِجِهَادِ النَّفْسِ وَالطَّاعَاتِ، وَاتَّقُوا رَبَّكُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ ﴿ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (١).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَدْعُوِّ لِكَشْفِ الضَّرَّاءِ، الْمَأْمُولِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَّ بِالنَّوَابِ مِنْ رَضِيَ بِمَا قَدَرَهُ وَقَضَاهُ، وَأَخَذَ الْعَيْرَةَ مِمَّا

أصابه به وابتلاه، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله، ابتلي فرضي وصبر، وأعطى
فحمد الله وشكر، ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد، فيا عباد الله:

إنَّ الأملَ بتحقيقِ الخيرِ، والتفأولَ بالمستقبلِ، وحسنَ الظنِّ باللهِ في القضاءِ والقدرِ،
مشاعِرٌ يفيضُها الإيمانُ على القلبِ، فيسري فيه نورٌ يقودُ نحوَ الخيرِ، فلا يأسَ من
رحمةِ الله، ولا قنوطَ من مغفرتِهِ وإحسانِهِ، ومتى شعرَ المرءُ بطمأنينةٍ وسرورٍ أقبلَ
على العملِ والإنتاجِ، وارتقى في سلمِ النجاحِ، مُحسناً الظنَّ برَبِّه بأنَّ ما أصابه مَفْتاحٌ
لأفقٍ جديدٍ في حياته، اللهُ باعتهُ إليه، وعن قريبٍ مُلاقِيهِ. وقد وردَ في الحديثِ القدسيِّ:
(أنا عندُ ظنِّ عبدي بي؛ فليظنَّ بي عبدي ما شاء))، فمنَ ظنَّ باللهِ ظناً حسناً؛ ناله
الخيرُ بحسبِ ما ظنَّ، ومنَ ظنَّ بهِ شراً ناله الشرُّ بحسبِ ما ظنَّ، فعلينا الانتباهُ للظنونِ
التي في قلوبنا، والأفكارِ التي نحملها، لأنها المستقبلُ الذي ينتظرنا، فعن النبي ﷺ أنه
قال: ((لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسنُ الظنَّ باللهِ))، وإحسانُ الظنِّ جليلُ القدرِ، عالي
المنزلةِ، إذ تهبُّ نسماته على القلبِ فتحميه من الأمراضِ، ثمَّ تسكبُ عليه بردَ المودةِ
والحُبِّ، والرضا والقناعةِ، وقد قال اللهُ تعالى في حقِّ من تردَّى وهوى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ
الَّذِي ظَنَّتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١)، فكانَ ظنُّهم باللهِ السيِّئِ سبباً من
أسبابِ هلاكِهِمْ، ولو ظنُّوا باللهِ ظناً حسناً لحسنَ عملِهِمْ، وصلحتْ أحوالُهُمْ.
فأتقوا اللهَ - عبادَ اللهَ -، وأحسنوا الظنَّ برَبِّكُمْ، بإصلاحِ أعمالِكُمْ، وإخلاصِ
جدِّكُمْ واجتهادِكُمْ؛ تسعدوا في حياتِكُمْ، وتخلدوا في الجنةِ بعدَ مماتِكُمْ.
هذا وصلُّوا وسلِّموا على إمامِ المرسلينَ، وقائدِ الغرِّ المحجلينَ، فقد أمرَ اللهُ تعالى
بالصلاةِ والسلامِ عليه في مُحكمِ كتابِهِ حيثُ قالَ عزَّ قائلًا عليمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خَلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَبِيومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ أَلَّا تَكُنَّا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَآيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَآيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَآيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.